صاحب الجلالة يخطب في منتخبي المجلسين الاقليميين لورزازات والرشيدية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة ممثلي إقليمي ورزازات والرشيدية

رعايانا الأوفياء سكان ورزازات والرشيدية

شعبي العزيز

إن الله سبحانه وتعالى حينما يقلد عبداً من عباده أمانة من الأمانات ومسؤولية من المسؤوليات يعطيه القدرة على تحملها والنهوض بها والمحافظة عليها، واننا لنحمد الله ونشكره على أنه سبحانه وتعالى، بعد المسؤوليات التي ألقاها على عاتقنا والأمانات التي جعلها موضوعة بين أيدينا وهبنا شعباً يرضي تاريخه ويرضينا، ووهبنا أرضا تدر علينا الخيرات والمواهب مما يجعلنا نتفاءل ونطمئن للمستقبل.

رعايانا الأوفياء

منذ غادرنا مدينة مراكش إلى أن وصلنا إلى الرشيدية ونحن نرى وجوها طافحة بالبشر، ومدناً قد كبرت ونمت وزاد سكانها، ونرى ثروة فلاحية ؛ وأعمالا معمارية ؛ وشعباً يحق له أن يفتخر بما أداه من خدمات له وللأجيال المقبلة، ونرى عباداً مؤمنين عليهم أن يشكروا الله سبحانه وتعالى صباح مساء على ما أعطاهم من نعم وما وهبهم من خيرات.

عليكم أن تعلموا أننا فوجئنا إيجابياً بما رأيناه وشاهدناه، وإذا كنا من قبل نردد كشعار لمسيرتنا، المليون هكتار، اليوم نرى أن تلك المسيرة أدت بنا — ولله الحمد — إلى ما يقرب من المليون هكتار، وأن الأهداف قريبة جداً، وأن الغايات في متناول اليد.

فما بقي إذن علينا جميعا ؟

بقي علينا أن نتحلى بالأخلاق السياسية والبشرية التي تضمن الاستمرار لهذه الخيرات التي وهبنا الله إياها والتي خلقناها بسواعدنا وأفكارنا، علينا أن نبقى سائرين في إطار الأخلاق الديمقراطية الحقيقية، تلك الديمقراطية التي لا حياة لها ولا مستقبل إذا هي لم تبن أولا على التساكن، وثانياً على الاحترام، أقول الاحترام، لأن الله سبحانه وتعالى حينما جاء بالاسلام جاء بديانة تكرم البشر، وتكرم بني الانسان، ومن ثم تعلم المسلمون على يد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحترم البعض البعض، وذلك نراه في أحاديث كثيرة إلى حد أن الديانة الاسلامية هي الأولى التي حاربت الميز العنصري، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود، فإذا نحن احترمنا أنفسنا واحترمنا الغير، واحترمنا بالتالي أصالتنا وقوانيننا، ودستورنا وحقوقنا، وإذا نحن احترمنا البيئة التي نعيش فيها، معنى هذا، اننا راضون عن تلك البيئة، وإذا كنا راضين عن تلك البيئة وقفنا في وجه كل من يتصدى لها ولكل من يريد أن يمسخها ولكل من أراد أن ينتزع منها حق الحرية ؛ وحق الكرامة ؛ وحق الاحترام، داخلياً وخارجياً، التساكن هو الذي يجعلنا أولا نتساكن في مجتمعنا وأن نقبل من كل واحد أفكاره وآراءه، اللهم إلا



إذا انتهكت حرمات الله أو انتهكت حرمات الوطن، التساكن هو الذي سيجعلنا نطبق التكافل بين جميع أفراد الأمة، فيأخذ الغني بيد الفقير، والقوي بيد الضعيف، وإذا كان هناك مثال يصور ما أقول، فهو معجزة الصحراء التي رأيناها في واحة ورزازات وفي واحة الرشيدية، فلو لم نكن نحترم أنفسنا ونحترم بيئتنا، ويأخذ منا القوي بيد الضعيف والغني بيد الفقير، نحترم هذه الثورة المعمارية الحقيقية، ثورة ارتفاع الدخل البشري الفردي، وثورة ارتفاع الدخل الاقليمي، وثورات أخرى، وأعطي مثالا برقم واحد ؛ في سنة 1956 كان في مدينة ورزازات 161 تلاميذ، والآن فيها 34 ألف تلميذ وكذلك الشأن في بقية المرافق الأخرى ؛ فلقد أصبحت الآن ثمانون في المائة من واحة منطقة ورزازات مسقية، وكذلك ثمانون في المائة من واحة الرشيدية، وشعرت أن في منطقة ورزازات والرشيدية ميناء ومرسى من الطمأنينة، ومن الايمان القوي، ومن الطهارة الداخلية والخارجية، ومن النقاء ومن الوطنية ومن القدرة على التحمل، تحمل الدفاع عن الوطن، وتحمل الدفاع عن العلم المغربي ؛ فإذا كانت جميع الأقاليم تتحلى بأخلاقكم بالصبر والتحمل والعمل والاستمرار في العمل فلن تأتي أواخر هذا القرن حتى يكون المغرب كله جنة إن شاء الله، فلاحيا واقتصاديا وبشريا.

ومما يثلج الصدر أن النهضة التي وقعت في هذين الاقليمين لم تكن نهضة ناقصة بل كانت كاملة، ذلك أن النهضة كانت في السكان وكانت حتى في التأطيرات الادارية والسياسية للسكان.

لا أريد أن أثقل عليكم بالأرقام، ولكن حينما نرى مثلا معدل العمر للممثلين البرلمانيين أو المحليين لورزازات والرشيدية، نرى أن هذا المعدل لا يتعدى عندهم أربعين سنة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ممثلي هذين الاقليمين رغم صغر سنهم فازوا بالثقة من لدن السكان، وقليلا ما يجتمع في آن واحد وبالأخص في البادية، وبالأخص في النواحي الشاقة قليلا ما تجتمع القدرات والكفاية وصغر السن، حقيقة صغر سن الممثلين لهذين الاقليمين يدل على الجد وعلى الاستقامة وعلى الحيوية، وحينما نرى مستواهم الثقافي نرى انه لا أحد منهم أمي،-أبداً، بل أقلهم له تكوين الثانوي ومنهم من له تكوين جامعي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل كذلك على أن الثقافة والتكوين الفكري يجتمعان مع ممارسة الأمور العادية اليومية كالفلاحة والتجارة وغيرهما، وهذا يجعلنا مطمئنين على هذين الاقليمين، ذلك أن خيراتهما — ولله الحمد — خيرات مادية ومعنوية، والخيرات المعنوية تساير وتواكب الخيرات المادية.

إن ما رأينا يسر جداً، ولكن ليس معنى هذا انه هو الغاية، فلأقاليمكم إمكانات أخرى، وفيها مجالات أخرى، ولا أظن أننا وصلنا إلى نهاية الطريق ؛ فإقليم ورزازات وإقليم الرشيدية عندي اليقين أن لهما في خبايا أرضهما من الخيرات ومن الامكانات ما لا نتصور، فيجب علينا إذن أن نسير قدما في طريق التنقيب والبحث عن المعادن وعن جميع أنواع الطاقات وأشكالها.

العمالتان معاً لهما كذلك وسائل أخرى للري، وبإمكانهما استجلاب الماء واستخراجه أكثر مما عندهما الآن، لي اليقين اننا بعد محاميد الغزلان يمكننا أن نجد الماء لمدد الواحة إن شاء الله لتلتحق بالأقاليم الأخرى وحتى لا يظل وادي درعة نقطاً وعلامات مصورة على الخريطة، وفيما يخص الرشيدية سنشرع إن شاء الله هذه السنة في أعمال سد واد كير، حتى يمكن أن نزيد عشرة آلاف هكتار أخرى مسقية في إقليم الرشيدية.

كما أننا سنعمل على أن تخرج مياه الواحات المنقطعة الموجودة بين ورزازات وبين الرشيدية فوق الأرض ليمكن من إقليم ورزازات إلى الرشيدية بما فيها تينجداد وكوليمة — أن تصبح جميع الأودية الموجودة تحت الأرض فوق الأرض، وتهيأ لها الوسائل حتى تكون الواحات كلها سلسلة غير منقطعة بين ورزازات والرشيدية.



عندكم وسائل أخرى وعندكم مشاريع أخرى يلزمكم أن تنكبوا عليها مثلا قضية الماشية، إذا نحن رأينا أن مساحات الأرض بين الرشيدية وورزازات وإذا نحن قارنا بين صور هذين الاقليمين وبين صور أوستراليا نجد أن أرض أوستراليا أفقر بكثير من الرشيدية وورزازات فيما يخص المراعي، ومع ذلك توصلت أوستراليا بانتقاء الحبوب اللازمة لأن تكون أكبر منتج للماشية، فلابد أننا نتحدى الصحاري ونتحدى الرمال، والحالة أن الوسائل عندنا والامكانات المناخية عندنا، لابد أن يكون هذا هو الرهان، أن نضع أمامنا في السنتين المقبلتين رهان إنتاج الماشية بين ورزازات والرشيدية كما هو الشأن في أوستراليا، ولي اليقين اننا سنربح هذا الرهان، ولكن سنربح الرهان إذا نحن توجهنا لحل المشاكل بعقلية جديدة، دائما نفكر أن الادارة هي التي عليها أن تعمل كل شيء، وأن السلطة هي التي يمكنها أن تعمل كل شيء، أظن لا ؛ لو كنا نعتقد أن السلطة والادارة هي الوحيدة القادرة على خلق كل شيء لما قننا الحياة الدستورية في هذه البلاد.

ما معنى الحياة الدستورية والديمقراطية في بلد من البلاد ؟ ليست هي الوقوف في المنصات للخطابة، وليست هي الذهاب إلى البرلمان — ان نحن حضرنا جلسات البرلمان — لنتكلم، وليست إقامة المهرجانات والخطابة فيها.

لا، علينا أن ننظر إلى الدستور وأن نتفحص نصوصه ونرى ماذا يعطي لكل مجموعة مجموعة منتجة، بلدية كانت أو قروية، إقليمية أو جهوية، ونعرف ما هي مؤهلاتنا، وماذا يخول لنا الدستور من سلطة مادية، أو من سلطة معنوية، لأن كل سلطة ومسؤولية ليست محدودة فقط فيما هو مكتوب، بل هي في المفهوم وفي الروح.

فإذن كلكم مهما انتخبتم، اما في البرلمان واما محلياً كلكم قياد، والقياد كلهم منتخبون.

ما معنى الديمقراطية ؟

الديمقراطية هي النخبة لتسيير الآخرين، النخبة الفكرية وليست نخبة العضلات أو نخبة الحزب الوحيد، أو نخبة السجون في الحزب الوحيد أو نخبة الرقابة في الحزب الوحيد، لأن النخبة هي كل من أعطاه الله مؤهلات لأن يأتي بشيء للبلاد.

أطلب من شعبي العزيز بأسره أن يستمع لهذه الكلمة، لأن هذه الكلمات لا يجب أن تظل ترن في آذانكم عشرات السنين فقط، بل طوال قرون.

الديمقراطية هي القوة الفكرية الخلاقة المحترمة التي تقبل وتضمن التساكن في الاحترام وفي النظام، وماعدا هذا فليس سوى ديماغوجية، فإذن لماذا ستنتظرون حتى تأتي الادارة وتحيط الألفي هكتار بالسياج وتنثر تلك الحبوب المستوردة من أوستراليا لترعى فيها خمسة آلاف من رؤوس الأغنام ؟ أليس لكم الفكر الذي يفكر في هذا الموضوع ؟ هل تفتقرون إلى الوسائل فنمدكم بها ؟ هل أنتم في حاجة إلى قروض فنمنحكم إياها ؟ انني لا أريد أن يكون من يرتدي البذلة الرسمية هو وحده الذي يتحمل مسؤولية إنجاح هذا الشيء أو عدم إنجاحه ؟ كلنا مسؤول، ماذا تمنح الديمقراطية ؟ الديمقراطية تمنح كل واحد المفتاح أو المعول لكي يحفر مثل الجميع، الديمقراطية هي خلاف اهجا بيت قالته العرب، وهل تعرفون اهجا بيت قالته العرب ؟ انه :

دع المكارم لا تنهض لبغيتها   واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

ومعنى البيت : إنني مكتف من ناحية المأكل والمشرب والملبس.

هذا اهجا بيت قالته العرب .

فعندما يأتي ملك بلاد، ويطلب من شعبه أن ينطلق إلى العمل والمساهمة إلى جانبه، ويطلب منه أن يكون معه في مستوى تحمل المسؤولية فذلك أكبر دليل على حب الملك أو احترامه لشعبه.

لا أقول لكم اعملوا فقط، بل كل من آنس من نفسه القدرة على العمل فعليه أن لا ينتظر الاذن، بل عليه أن يعمل : «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

وبهذه السيرة، وبهذه الأخلاق، وبهذه الطريقة في العمل وفي الحياة اليومية سيمكن للمغرب أن يظل محترماً كما كان.

نعم وسائل المغرب اليوم ليست هي وسائل المغرب على عهد الموحدين، مغرب الموحدين كان من إشبيلية إلى تمبكتو، ومن الدار البيضاء إلى القاهرة، اليوم تعرفون حدود المغرب، ولكن لماذا سنقبل أن لا يكون للمغرب ذلك الصيت وذلك الاشعاع والشعاع والسمعة والاحترام التي كان يحظى بها على عهد الموحدين ؟

اننا ـــ ولله الحمد ـــ حبانا الله من المؤهلات ومن الأصالة ما يجعلنا قادرين على تحمل الرسالة وعلى المحافظة على الرسالة رغم الحساد، إياكم أن تظنوا أن المغرب محسود على خيراته أو على حدوده أو على صحرائه أو على كونه يطل على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، لا، هذا غير وارد ولا يضر بالآخرين، لأن هناك دولا أوسع مساحة من المغرب وتطل على بحرين هي كذلك، المغرب محسود على نظامه ؛ على نظام الحرية، المغرب هو البلد الذي يرى من يأتي إليه ويزوره من برلين الشرقية وبرلين الغربية.

هذه هي الأسباب الحقيقية التي يحسد عليها المغرب، فمن زار المغرب يرى أن هناك صحفاً مختلفة تقول ما تريد (ليس دائماً راشدة في أقوالها)، وهناك الحركات السياسية، والحركات النقابية موجودة، كما أن الناس ـــ ولله الحمد ـــ يتنفسون الهواء الطلق، لهم قوانين ولهم قضاء، ولهم فصل السلط، ولهم جميع مقاييس الحياة الراقية العصرية.

وبالطبع فإن هذا النوع من الحياة يجعل بعض المسؤولين في بعض القارات لا يغمض لهم جفن ولا يعرفون راحة البال لأنهم يشعرون بأن الأشياء تتميز بضدها.

إذن من واجب المغرب أن يظل محافظاً على عظمته كيفما كانت حدوده، لأن عظمته هي قبل كل شيء في فكره وفي قلبه وفي تعلقه بمبادئه وقيمه الروحية والدينية، وهذه القيم يجب أن تتجلى فينا، وكيف يمكن أن تتجلى فينا ؟ في العمل اليومي المتواضع، في التساكن، في احترام البعض للبعض ؛ في القيام بالعمل ؛ وليس بالضرورة أن يكون الانسان منتمياً إلى الادارة أو السلطة لكي يتسابق إلى الخيرات، فالقرآن أمر المسلمين والمؤمنين بالتسابق إلى الخيرات.

إذن لكي أختم كلمتي، فإن مستقبل الاقليمين زاهر مزدهر، ومطمئن لا يكفيه فقط تفكير الادارة أو عملها، بل يجب على المنتخبين كذلك أن يسهموا بدورهم في التعاون، بماذا سوف يساهمون ؟ عليهم أن يسهموا بالأرض وبتأطير السكان، وبحمل الرسالة من بيت لبيت ومن دار لدار، ومن حومة لحومة ؛ ومن قرية لقرية ؛ فإذا كان القيام بالواجب في الحقيقة ملقى على الكتفين : الاداري وغير الاداري، فسيكون العمل متكاملا، وثانيا

سنترك لأبنائنا وأحفادنا أخلاقا ونموذجاً للسير والكفاح اليومي ضد الفقر وضد الجهل وضد التأخر وضد التقهقر، لهذا فما رأيته — كما قلت لكم — يسر ويبعث على الاطمئنان، ولكن هذا لا يكفي، أريد أن تصبح لدينا عادة ثانية، أريد — وكما قلت لكم — أن نظل على مر القرون نسير على نفس النهج الذي أوضحته لكم، وليس هناك مغربي كاملا أو ناقصاً، كما أنه ليس هناك مغربي في الأعلى وآخر في الأسفل، بل هناك مغربي يقوم بواجبه فهو إذن في الأعلى والآخر لا يقوم به، فهو إذن في الأسفل، ليس هناك مغربي محترماً وآخر غير محترم، بل المغاربة كلهم محترمون، ليس هناك مغربي له الحق في أن يقول هذا أبيض والآخر ليس له الحق أن يقول هذا أسود، المغاربة سواء إذا لم تنتهك حرمات الله، وإذا لم تمس وحدة البلاد — لا أقول الوحدة الجغرافية فقط — بل وحدة العبقرية، ووحدة الروح، ووحدة التكوين، ووحدة الثقافة، بحيث يمكن لكل واحد منا أن يقوم بعمله وبواجبه إن هو تحرى أن يقوم به في حرية ما لم تنتهك حرمات الله وحرمات الوطن.

لهذا رعايانا الأوفياء في الاقليمين، سأغادر — إن شاء الله — بعد غد وأنا أحمد الله سبحانه وتعالى على ما رأيت وما شاهدت، وحينما خطوت خطوة في سياسة السدود سنة 1965 (أي منذ ست عشرة سنة) لم أكن أظن أن الله سبحانه وتعالى سيريني ما رأيت، أو سيكافئني بما كافأني به على جهدي المتواضع وعملي المتواصل، ولكن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يرينا فضله ونعمه، وأن يعطينا كذلك مناهج واحباباً وفضلا آخر ونعماً أخرى، وأملي في الله سبحانه وتعالى أن يهديكم إلى المزيد من العمل والمثابرة والصبر والتحمل وعند الصباح يحمد القوم السرى، ورجائي في الله أن أرجع إليكم بعد سنة أو سنتين وأن أرى إقليمكم أحسن وأفضل وأكبر، وأطلب من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا سواء السبيل وأن يجعل دائما اقليم ورزازات واقليم الرشيدية اللذين كان أهلهما في طليعة المتطوعين في المسيرة الخضراء، أن يجعلهما دائماً مثالا يحتذى ويتبع بالنسبة لسائر الأقاليم المغربية، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 11 جمادى الثانية 1401 — 16 أبريل 1981